محمد كابر هاشم

موريتانيا ـ نواكشوط

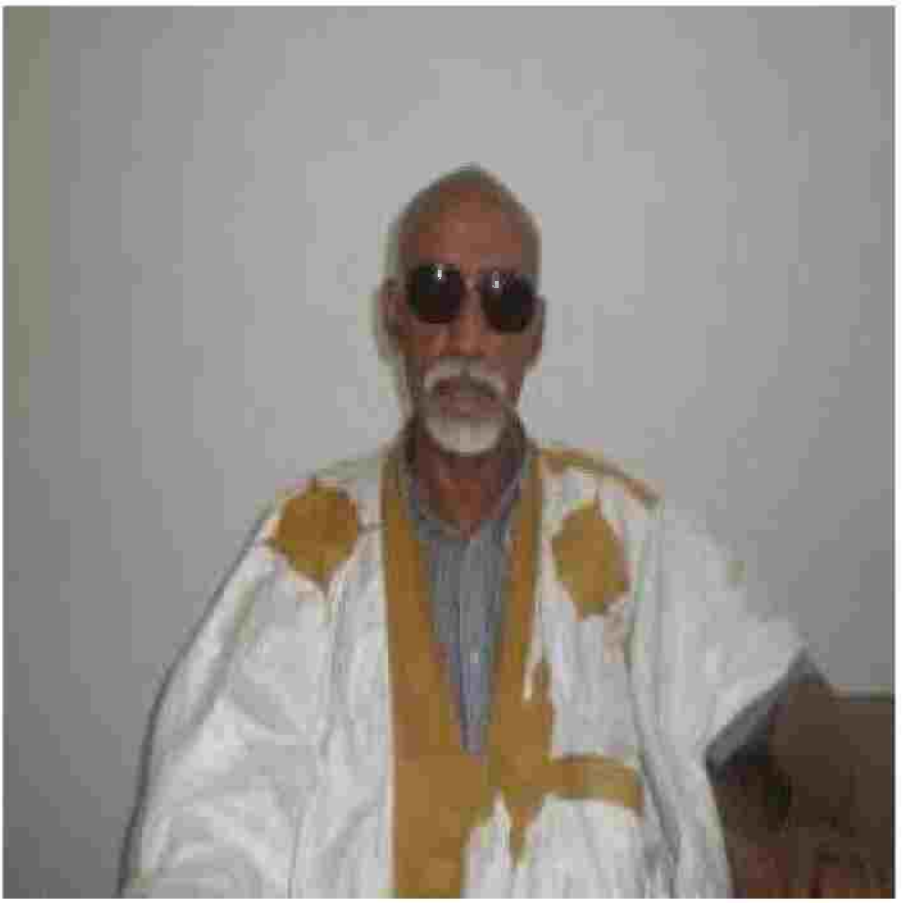

رئيس اتحاد الأدباء الموريتانيين محمد كابر هاشم لـ«العرب»:

بلاد المليون شاعر لقب تدليلي لكنه لم يجانب الصواب

نواكشوط ـ محمد سالم

السبت ٢١ آذار (مارس) ٢٠٠٩

يعتبر الشاعر الموريتاني محمد كابر هاشم رئيس الاتحاد العام للأدباء والكتاب الموريتانيين أن الرواد المشارقة الذين أطلقوا على موريتانيا لقب بلاد المليون شاعر لم يكونوا مجانبين للصواب، لأن الشعب حينئذ كان إما « شاعر إنشاد وإما شاعر إنشاء»! ويقف موقفاً صلباً تجاه القصيدة النثرية التي يعتبرها مصطلحاً عبثياً لا يمكن تصوره افتراضاً لأن الشعر خندق، والنثر خندق آخر والجمع بينهما كالجمع بين الليل والنهار! كما يشرح هاشم في لقائه مع «العرب» ملامح المشهد الأدبي في موريتانيا ويعتبر أن الأدب العماني هو الأقرب إلى الأدب الموريتاني من حيث البنية والمضمون.

لو أراد الشاعر محمد كابر هاشم تقديم الأدب الموريتاني إلى القارئ العربي بعيداً عن تلك الصورة الخيالية التي رسمتها العبارة الشائعة بلاد المليون الشاعر كيف سيكون التقديم؟.

• بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على النبي العربي الكريم، أعتقد أنه من المهم التذكير بأن الإخوة المشارقة الذين أطلقوا على بلادنا لقب بلاد المليون الشاعر، لم يكونوا مجانبين للصواب وذلك لجملة أسباب منها أن هذا اللقب هو لقب تدليلي والألقاب التدليلية لا تقاس بالواقع ليعرف مدى مطابقتها له، وإلا لكان علينا أن نتوقف عند تسميات مثل «مصر أم الدنيا» و «هبة النيل» و «باريس.. مدينة الأنوار» وأم كلثوم كوكب الشرق، أو أن نتوقف عند الكلمة الذائعة التي أطلقها ابن رشيق القيرواني عندما قال «ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس».

هذا من جهة، أما ما نظنه سبباً لانبهار المشارقة بأدب هذه البلاد وبأدبائها، فهو في اعتقادي راجع إلى أن الذين زاروا موريتانيا مفتتح الستينيات وهي إذ ذاك لم تحدد من هي وماذا تريد، وكانت حينئذ مجهولة في المشرق وفي المغرب أيضاً، إضافة إلى أن المستعمر الفرنسي الذي خطط منذ القرن الـ١٩ لاقتطاع «بلاد شنقيط» عن امتدادها العربي والإسلامي واستخرج لها من أحافير الرومان اسم موريتانيا ليكون علماً على هذه الصحراء كالثور يضرب لما عافت البقر، هذا زيادة على بحر الرمال الذي يطوقنا ويحول بيننا وبين جيراننا الشماليين. كل هذه الأسباب جعلت إخواننا المشارقة لا يتوقعون أن يوجد خلف هذه الرمال القاحلة وفي كل هذه السياقات شعب يتمتع

بما تمتع به الشعب الموريتاني من اهتمام باللغة والأدب وبحفظ للشعر وينتجه بجودة، فلذلك لاحظ الإخوة المشارقة أن الشعب الموريتاني حينئذ كان ما بين شاعر إنشاد أو شاعر إنشاء.

هذا من جهة أما بالنسبة للشعر الموريتاني، فهو ككل الشعر في كل الساحات العربية. بمعنى أنه جزء من هذا الأدب العربي الكبير، وإن كان الأدب العُمَاني أقرب وأكثر تقاطعاً مع الأدب الموريتاني، حيث يشتركان في الاحتفاء بالأنموذج الأصيل للقصيدة العربية، وبالتالي فمن خلال اطلاعنا على الأدب العماني ولقاءاتنا مع رموز الحركة الشعرية في البلد، لاحظنا أنه الأقرب في الصور والمضامين إلى الشعر الموريتاني، ولعل ذلك عائد إلى أن الأطراف غالباً ما تكون أكثر تشبثا بشخصيتها وأصالتها خصوصاً إذا ما جاورتها ثقافات تخشى أن تتسرب إليها أو أن تنصهر في بوتقتها.

ماذا عن سؤال الحداثة وحضورها في الأدب الموريتاني المعاصر خصوصا أن الذائقة الشعرية الموريتانية لا تزال تقليدية بحكم المرتكزات الثقافية

لـ «المحظرة» الموريتانية؟

• عليك أن تعرف أن كل المعارف الإنسانية إذا ما استثنينا الجانب العقدي، لا تزال نسبية في

العموم، وبالتالي فإن مفهوم الحداثة أيضاً هو مفهوم نسبي، وعموم فإن الشعر بالنسبة للعربي هو خندق والنثر خندق آخر، والقرآن خاطب مجتمعاً عربياً سليم الذائقة وألح كثير على أنه ليس شعراً ولا ينبغي له أن يكون كذلك، وبالتالي كان من الصعب أن نتعايش مع من يخلط بين الشعر والنثر، هذا من جهة، إما إذا كانت الحداثة تعني إدخال المضامين والصور والأخيلة الجديدة إلى القصيدة العربية والانتقال بها من المنابت البدوية إلى واقع المجتمع المدني ومن هموم الفصيلة والقبيلة إلى هم القضية والأمة، فأعتقد أن عليها أن تدخل إلى الشعر ما يمكن أن يصنف من جنسه، أما الحداثة التي تحاول المروق من القصيدة العربية بكل مقاييسها فأعتقد أن ساحتنا الشعرية بحمد الله لا تزال عصية عليها.

هذا سيحيلنا إلى موقفكم من التجديد في عمود الشعر، أعلم أنكم تقفون موقفا متشددا من قصيدة النثر خصوصا وتلحقونها بنظرية المؤامرة، ما منطلقات هذا الموقف؟

• الأمر ليس على إطلاقه، لكني أعتقد أنه عندما تتجه إلى قصيدة أمة عمرها أكثر من ٣ آلاف سنة، وقد بنت عليها الأمة كثيراً من مرتكزاتها الذهنية والثقافية ثم تطالبها بأن تتجه إلى هذه الاتجاه النثري فليس من المستغرب حينئذ أن يثير هذا الأمر عدة مواقف متباينة، فنحن أمة

يتداخل عندها الأدب بالبنية العقدية والدينية ويفسر القرآن لأنه كان جزءاً من تفسير القرآن والحديث واستجلاء مختلف مكنوناتهما، وبالتالي عندما تدعو هذه الأمة التي صاغت رؤيتها وتقاليدها الشعرية إلى الانتقال إلى هذه القصيدة النثرية فهو أمر غير سائغ إطلاقا زيادة على أنه الجمع بين المتناقضات فمصطلح قصيدة النثر يشبه كلمة الليل النهار أو السماء الأرض... إن الشعر والنثر خطان منفصلان والجمع بينهما من عبث الكلام ومن المماحكة اللفظية.

لكن ألا يمكن الحديث عن شعرية النثر في بنيته الفنية ودلالته؟

• تلك أشياء لا أول لها ولا آخر، صحيح أن في النثر بعض الصور والمفردات الشعرية وفي الشعر كذلك بعض الصور النثرية، لكن من المهم أن نعرف أن الشعر استطاع احتضان قصيدة التفعيلة لأن العرب أباحوا للشاعر «نهك البحر» أي حذف تفعيلة من البيت ذي التفعيلات المتفقة وبالتالي فإنك تجد قصائد التفعيلة في أغلبها تنحو نحو البحور ذات التفعيلة الواحدة، أما عندما يكون هذا النص أو المُنْتَج خارجا عن التفعيلة وعن عمود الشعر وعن النظم وعن الموسيقى الشعرية فأنا أعتذر عن قبول تصنيفه ضمن فن الشعر العربي.

لننتقل إلى السرد في الأدب الموريتاني ومدى حضوره في المُنتَج الأدبي المعاصر في موريتانيا؟.

• كما تعلم فإن الفنون السردية هي فنون حديثة طارئة على الأدب العربي ولم تكن، إذا ما استثنيا المقامات، ضمن دائرة الوعي الثقافي العربي وقبل ما يقارب مئة العام لم يكن العربي يفهم الأدب إلا في حدود النصوص الأخلاقية أو الشعر، وعموما فإن عمر التجربة السردية من رواية وقصة وأقصوصة إلى غير ذلك لا يزال حديثا في عالمنا العربي، ربما لا يتجاوز عمره عمر الدولة الصهيونية حيث تزامنت تلك الخضات التي تعرض لها الأدب العربي، من الشعر الحر وشعر التفعيلة إلى الرواية والقصة، مع إنشاء ذلك الحاجز الدخيل الذي أقيم ليفرق بين حدود العالم العربي وفصل ما هو إفريقي منها عما هو آسيوي، وشخصيا أعتقد أن المبدع العربي قد قدم إسهامات جليلة في هذا المجال وأنه توجد في عالمنا العربي أسماء لامعة تركت بصماتها على تاريخ الفن السردي في الأدب العربي المعاصر، أما فيما يتعلق بتجربة الفن السردي في موريتانيا فنحن أمام أسماء كثيرة في هذا المجال من مختلف أجيال الأدب الموريتاني المعاصر وجيلنا في السبعينيات كتب القصة، كتبها أستاذنا الخليل النحوي وأنا وكتبها ناجي محمد الإمام ومحمد فال ولد عبدالرحمن ومحمدي ولد القاضي رحمه الله واسْلَمْ

ولد بَيّه رحمه الله مع أن هؤلاء في الأساس كانوا شعراء.

شهدت الساحة الأدبية في البلد ميلاد عدد من الهيئات الأدبية، فهنالك نادي الشعراء الشباب وجمعية النقد الأدبي وهناك جمعية الأدب الموريتاني، أين أنتم في الاتحاد العام للأدباء الموريتانيين من هذه التعددية؟

• أعتقد أن الساحة الثقافية هي وحدها ما يوحد الفاعلين إذا ابتعدت عن السياسة والمُسَيَّسين والناقمين والشخصانيّين، فهي ساحة واحدة توحد الجميع، وعموما فالساحة الثقافية تحتاج إلى كل تلك الأصوات والجهود خصوصا في ظل تضييق الخناق الذي تشهده الساحات الثقافية العربية بفعل الهجمة الفرانكفونية، وعموما نحن نوجه الدعوة لكل من يتكلمون بالعربية، حتى ولو كانوا ممن ذوي اللغة الفرنسية، لخدمة الثقافة العربية، لأن من الأخطاء البنيوية للمجتمعات أن تعيش عمرا دون أن تحدد من هي وماذا تريد.

ماذا عن جيل الشعراء الشباب وهل هناك من أسماء أصبحت تمثل وجودا شعريا شبابيا في هذه البلاد؟

• من دون شك وكذلك كل جيل لابد أن يكون فيه مبدعون وما كان عطاء ربك محظورا، وبالتالي هناك من دون شك أسماء شعرية لامعة

ومؤثرة، وعموما فجيل الشباب يحمل مستويات متفاوتة، منهم السابق والمبدع ومنهم من هو في طريق الإبداع والتألق فهم كالنخيل الذي يسقى من ماء واحد ويتفاوت في الأكل والثمرات.

يحزم كثير من الشعراء الآن حقائب الشعر متوجهين إلى الدورة الثانية من مهرجان أمير الشعراء ماذا قدم الاتحاد العام لمساعدة هؤلاء في رحلتهم الشعرية هذه؟

• في الواقع أن «الاتحاد العام للأدباء والكتاب الموريتانيين» وحتى «الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب» له ظروفه الخاصة التي جعلته في البداية لم ينفتح على هذه المسابقة، نظراً لأن الهيئة المنظمة وهي «هيئة أبوظبي للثقافة والفنون والتراث» قررت منذ البداية أن تكون الترشيحات فردية وستبقى كذلك، وبالتالي فإن ما يمكن الاتحاد أن يقوم به هو النصيحة والترشيد لمن أراد.

على ذكر «الاتحاد العام للأدباء العرب» هناك من يرى، وربما كان محقا في ذلك، أن هذا الاتحاد لم يعد ذا دور محوري في مسيرة الثقافة العربية كما كان. هل تشاطروننا هذا الرأي؟

• الاتحاد العام للأدباء العرب جزء من أمة والثقافة واللغة تقوى بقوة أصحابها وتضعف أيضا بضعفهم، بمعنى أننا نعيش الآن في برزخ لم يعد فيه الخطاب العربي الذي تعودت عليه الاتحادات

الثقافية العربية مستساغا عند عامة الناس، أما الاتحاد فما زال -عموما- متمسكا بجميع قضاياه وبخطابه ونظامه الأساسي والداخلي، عدلا باستحياء، وهو لا يزال يسعى إلى تذكير الأمة بماضيها وحاضرها ويشعرها أن في الدنيا من يحاول التشبث بذاته وهويته ولا يفرط في بصمته.

نماذج من شعره

أرض الإسراء

أرض الاسراء مَحضِن الأنبياء

أقسمت لن تكون للغرباء

كم تنادي وتستغيث ولكن

ليس في القوم سامع لنداء

أين الابطال أين هم لا أراهم

غير أبطال مسرح وغناء

يُحصَد القوم كالسنابل حصداً

ويموتون جوَّعاً في العراء

لا مواساةَ إذ يبادون غير الـ

ـكلمات السقيمة الجوفاء

إنها غيبة العقيدة عاثت

في ديار الإسلام مثلَ الوباء

يا بلاد الاسراء ما دون الاسلا

م خلاص في حالة اللأواء

هل عرفناك يا فلسطين إلا

يوم تنزيل سورة(الإسراء)

كيف يرجو نصر المهيمن قوم

لو يقيموا في الأرض وحي السماء

أيها الطالبون للثأر عودوا

للصراط السوي دون التواء

لم يك العرب دون الاسلام إلا

مثل شاة تتيه في البيداء

فإذا هم عادوا إليه استعادوا

كل حق وقربوا كل نائي

فبالاسلام قبلُ حلوا فقادوا

أمم الأرض قنّة العلياء

وإلى رائعته:

حدَّث النخل

حدَّث النخل قال: ذات زمان

كان مهدي للفاتحين مقيلا

أكلوا التمر زادهم ونواه

قد رموه فكنت منه النخيلا

حملوني من نبع (يثرب) ذكرى

من عبير تفوح عطراً جميلا

طبت فرعاً وموطناً وفصيلاً

وقبيلاً، وموطناً، وفصيـــــلا

كنت والمحل والخطوب رخاءً

وملاذاً ومنهلاً سلسبيـــــلا

كان سيبي للمعتفين مِجناً

دون عرضي وكنت ظلاً ظليلا

فصَّلوا سمت قامتي وغذَوها

كبرياء وعنفواناً أصيلا

لم أذق يوماً للفسولة طعماً

مذ غذوني وما نبتُّ فسيلا

عودوني ألّا أروم انحناء

وليك الجدب ـ لو يشاء ـ طويلا

قدر النخل أن يظل دواماً

رافع الهام أو يكون قتيلا

كان ظلي للصافنات مقيلا

خيل فتح تهدي الصهيل صليلا

كل جرداء مبتلاة بقرم

يحسب النقعَ هامُه إكليلا

كل ندب على المكاره جَلد

ليس يبغي بالحسنيين بديلا

(عُقبةُ)الخيرِ من هنا مر يوماً

و(ابن ياسين)قد هداه السبيلا

(يوسف العدل سيفه حميريٌّ

يألف الغزو؛ بكرة وأصيلا

و(المراديُّ) يحتبي رمح حق

سمهرياً ومشرفياً صقيلا

رضعوا الصدق سنَّة وسبيلاً

وطعاناً ومحتِداً وقبيلا

صدقوا الله عهده ورعَوه

قوم صدق ما بدلوا تبديلا

كم أسرّوا للسابحات رؤاهم

واستماتوا في الله جيلاً فجيلا

تذكر الخيل سمتهم وسُماهم

ورؤاهم فتستعيد الصهيلا

* * *

حدَّث النخل....ويا له من حديث

انظر كيف ربط الشاعر موريتانيا، شنقيط بالمدينة المنورة:

حملوني من نبع يثرب ذكرى

من عبير فكان عطراً جميلا

تمنيت أن تكون كلمة (طيبة) بدل (يثرب).

(حملوني من نبع طيبة ذكرى

من عبير فكان عطراً جميلا

واسمع إلى هذا الشموخ:

قدر النخل أن يظل دواماً

رافع الرأس أو يكون قتيلا

ثم يعدد الشاعر رموز الفتوحات الإسلامية: عقبة بن نافع، يوسف بن تاشفين.....

تذكر الخيل سمتهم وسُماهم

ورؤاهم..فتستعيد الصهيلا

شعر فحل من شاعر فحل.يذكر قومه بأمجادهم، ليستعيدوا الصهيل.